أوليات تصورية في هندسة المعنى: نحو بنية معرفية

Conceptual Primitives in the Geometry of Meaning towards a Cognitive Structure

أ. **عصام حجاج:** أستاذ الثانوي التأهيلي – أكاديمية درعة تافيلالت، المغرب

Mr. Issam Hajjaj: High school teacher – Draa Tafilalet Academy, Morocco.

Email: hellolife8@gmail.com

DOI: https://doi.org/10.56989/benkj.v4i6.953

الملخص:

يطرح مشكل الاكتساب اللغوي قضايا مرتبطة أساسا بتحديدنا لماهية اللغة، وفي علاقة ذلك بطرق التدريس ومدى استحضارها لكليات معرفية وتصورية مفترضة، فاللغة في هذا السياق إما أن تكون مدونة ثابتة منعزلة عن سياق الأداء، وإما أن تتحدد في إطار فضاء ديناميكي يتطلب تصورا هندسيا للمعنى، وهو ينبثق أساسا من تصورنا للفضاء بأبعاده المختلفة. حيث يصبح المعنى جزءا من هذا التصور العام. يهمنا في هذا السياق التأكيد على ضرورة الوعي بخصائص النظام اللغوي في سياق فلسفي عام، وأيضا في سياق بيداغوجي وتعليمي خاص، ومن هنا ستنطرق في هذه الورقة إلى تقديم هذا التصور المعرفي للغة ومخرجاته، وسيشكل ذلك مدخلا للحديث عن نموذج لنظام اللغة في اتصال تام بالقدرات الجسدية الحسية والحركية، وأيضا بالتجربة البشرية وامتداداتها البيئية المختلفة. وهذا الإطار النظري هو مذهب اللسانيات المعرفية في تقديم تصور متقدم حول اللغة . واعتبارها مكونا من مكونات الإدراك والمعرفة، وأن فهمها لا يتأتى إلا بفهم شامل لهذه العناصر مكتملة.

الكلمات المفتاحية: لسانيات معرفية، أوليات تصورية، معرفة، اكتساب.

Abstract:

The problem of linguistic acquisition raises issues that are essentially related to our definition of what language is, and in relation to teaching methods and the extent to which they invoke supposed cognitive and conceptual faculties. Language in this context is either a static code isolated from the context of performance, or we are within the framework of a dynamic space that requires a geometric conception of meaning. It emerges essentially from our perception of space in its various dimensions – where meaning becomes part of this general perception. In this context, we are interested in emphasizing the necessity of awareness of the characteristics of the linguistic system in a general philosophical context, and also in a specific pedagogical and educational context, and from here we will address in this paper to present this perception. Cognitive understanding of language and its outcomes, and this will constitute an introduction to talking about a model of the language system in complete connection with the physical sensory and motor capabilities,

as well as with the human experience and its various environmental extensions. This theoretical framework is the doctrine of cognitive linguistics in presenting an advanced conception of language – which considers it to be one of the components of perception and cognition– and that its understanding cannot be achieved except by a complete and comprehensive understanding of these elements.

Keywords: Cognitive linguistics, Conceptual primitives, Cognition, acquisition.

المقدمة:

تتشكل تجاربنا من أفعال متكررة كما أننا نمارس مجموعة من الانشطة المركبة التي تقتضي وضع تصور محكم، وهي متأصلة في طبيعتنا المتجسد، ومن علاقتنا التفاعلية مع الأشياء في العالم المادي. من هنا تبدأ مسارات المعالجة التي تشكل فيها اللغة جزءا من هذا الكل في سياق ما يسمى 'المعرفة' أو ما يمكن إن يؤدي إلى بناء التصور باستحضار كل العناصر الحسية الحركية، وما يشملها من قدرات إدراكية متعددة، فاستيعاب تصور معين أو فعل شيء يقتضي التوسل بمجمل الأنماط القائمة في الذهن قصد بلوغ رجة عالية من التحقق والتحقيق الفعلي، وهو ما يقتضي مراجعة الأدبيات الي حاولت النظر في الذهن البشري وما يتوفر عليه من مخزون معرفي. ونصل إلى تحديد مجموعة من الأوليات التصورية التي يشكل فهمها أساسا للتفكير والإدراك، والتالي منح المدرك نوعا من البروز المعرفي، وإمكانيات سلسة لتأويل الأبنية اللغوية، والتفاعل مع واقعه المعجمي، والوصول بالتالي إلى تصور موسوعي يتجاوز منطق التجزيء في التعامل مع اللغة.

لقد دعمت هذه التصورات الجديدة بناء مشروع فلسفي لمقاربة اللغة يتجاوز التصور الموضوعي، فكانت نظرية الاستعارة التصورية مجالا رحبا لتجديد النظر في ماهية اللغة ووظيفتها. وصياغة أفكار متقدمة حول نظرية المقولة في ارتباطها بالفكر عامة.(Oakley (2018 : 1 وانطلاقا من هذا التصور الكلي للمعرفة ولأوليات البناء المعرفي فليس غريبا أن يتم توظيفها كأدوات عمل رئيسة في كثير من التخصصات المعرفية التي كانت تبدو إلى وقت قريب متباينة، بل إن الواقع التعليمي يؤكد أن هذا التصور لايزال مهيمنا، مما يحول دون الاستفادة من ثرائها خاصة عندما يتعلق الأمر بالاكتساب اللغوي، ومن أبرز الأهداف والغايات: تجاوز التصور الموضوعي. والتقليص من درجات الاعتباطية، والخروج بالمتعلم من مجال التلقي المتكلس إلى دائرة

الميتامعرفة، ثم التأويل المتعدد الأبعاد. وهو ما يمنح الموضوع قوته بالنظر إلى اختصاصه بهندسة المعنى، وليس المعنى.

لقد أعادت اللسانيات المعرفية توصيف عناصر التجربة الإدراكية، مع استخلاص الأبنية التصورية التي تشكل مفتاح التعامل مع معطيات الوجود. وحاولت إعادة صياغتها بشكل مكثف يضمن لها طابع الكلية، ويحافظ بذلك على تحديدهم للغة جزءا من التصور والبناء الإدراكي العام. وبذلك سنشير إلى الأدبيات والالتزامات المؤطرة للمشروع، وستقف عند بعض الأوليات التي تشكلا مجالا لتنزيل هذه التصورات . ومنه ضرورة استلهامها في المشروع التربوي قصد تحقيق نجاعة أكبر. فما طبيعة الموقف الفلسفي الذي يحيل على هذا التصور المعرفي للغة؟ وكيف يمكن دمج هذا الموقف من اجل بلورة تصور واضح لنموذج تفسيري لمسالة الاكتساب اللغوي؟

أولا: من المعنى إلى هندسة المعنى: مقاربة معرفية

1- اللسانيات المعرفية: الإطار الفكري والمنهجي

لقد اهتمت اللسانيات المعرفية بالدلالة ومسارات تشكلها، واعتبرت أن القدرة اللغوية لها وجود خاص في الذهن البشري، مما جعلنا أمام فلسفة جديدة في المعنى، وهذا الأخير ينبثق من الجسد، فنصبح بذلك أمام معنى متجسد Embodied بالأساس. لكن الأمر لا يقف عند حدود تصور اختزالي صارم، بل إنه يراهن على تجاوز قصور التصور الموضوعي للعالم والفكر. حيث يتم تحليل اللغة "في علاقتها بباقي الملكات والمجالات المعرفية الأخرى، من قبيل: التجارب الذهنية، والجسدية، خطاطات الصورة، الإدراك، الانتباه، الذاكرة، المقولة، الاستدلال" (Dirven,2005:17).يعد المبحث المعرفي في اللسانيات امتدادا طبيعيا للتحولات التي عرفها هذا العلم بعد أن بلغ مرحلة الصورية المفرطة في سياق التحولات التوليدية ومنطلقاتها المعرفية، مع التركيز في هذا الاتجاه على الجانب المتعلق بالتقاطع المعرفي المؤدي إلى الكشف عن بنية الذهن حيث " تناول اللغويون المعرفيون قضايا متعددة التخصصات، خاصة الذكاء الاصطناعي، وعلوم الدماغ، كما يتضح من العمل الأخير لنحو البناء المتجسد، والنظرية العصبية للغة، (Fransisco J. Ruiz De Mendoza ;M. Sandra pena cervel (2005). p :2)"

تقتضي منهجية البحث في اللغة هذا الفصل المنهجي حيث نصبح أمام مقاربة جديدة. لقد اعتمد اللسانيون في دراساتهم بعض الآليات اللغوية التي اتصلت قبل ذلك باللغة أكثر من اتصالها بالفكر مما أدى إلى التباس كبير في المفاهيم، وجعل الذهن عاجزا عن فهم الكثير من أسرار اللغة، ففي سياق أبحاثهم اعتبرت الاستعارة "ظاهرة إدراكية مرتبطة بطرق عمل الذهن البشري في إنشاء أنساقه التصورية **Conceptual Systems** وتشفير بناه ونماذجه المعرفية" (دلخوش، 2014:

51) وبما أن الأمر يتعلق بمنهج تجريبي يتجاوز المبدأ العقلاني المستقل في علاقته بالتجربة فإن "المظاهر التجريبية للمعنى لا تظهر فقط في التجارب الشخصية، فتجربتنا المشتركة تخزن في لغتنا اليومية ويمكن بالتالي أن يتم استخلاصها من الطريقة التي نعبر بها عن أفكارنا" (Ungerer and schmid 2006).2: p) ومن هنا يتشكل مفهوم الخيال باعتباره بنية فكرية أو آلة للفهم، حيث " الخيال قدرة إنسانية مهمة ذات أثر فاعل وعميق في تشكيل الفهم البشري وفي بناء المعرفة الإنسانية (النجار، 2004: ص7). فالمعنى من أكثر العناصر الوجودية قابلية للتفكيك والتأويل، لا يتعلق حصرا بمحددات خارجية، فهو يعد "معطى مرنا غير قابل للشكلنة" (إسعادي. 2021: 22)، فأضحت بذلك الأنحاء قائمة على "أسس معرفية ونفسية وعصبية، فالثوابت اللغوية معرفية ذهنية في أسسها، وليست شكلية" (علوي، 2013: 133). ومن هنا يتضح البعد الذاتي في دراسة تشكلات المعنى.

2- أصول ومنطلقات أولية:

يؤدي البحث الدائم عن الأصول النظرية، أو بلورة فرضيات جديدة في سياق نظريات سابقة إلى تغيير في منظور التعامل مع اللغة باعتبارها مجالا للاشتغال، ويشكل النظر في الدلالة بالنسبة للفكر المعرفي ثورة على المقاربات الصورية، والميل نحو فصل مستويات اللغة في عملها، وإعادة الاعتبار لعلاقة الإنسان ببيئتة وفق ما هو متاح ذهنيا، فكل ذلك غايته "تحسين كفاءة النظرية اللغوية في فهم اشتغال اللغة" (الصفاقسي، 2015: 96).

ويشكل هذا الاتجاه في النظر إلى بعض المظاهر اللغوية جزءا من تصور عام، حيث أصبح الاهتمام أكثر "بقوانين اشتغال العمليات الذهنية وباعتبار ما فيها من اشتراك بين مختلف مجالات العرفان الإنساني" (الصفاقسي:96)، ولاشك أن مجموعة من الإشكالات قد تبرز داخل أي إطار نظري، ومنه العلاقة بين المشترك والذاتي في علاقة اللغة بمستعمليها" وهذا يعني أن دلالة عبارة ما يتم ضبطها بوجهين اثنين من زاوية عرفانية: الوجه الأول هو المضمون الذهني المتصور وهو مشترك بين البشر، والوجه الثاني هو قدرة ذاتية خاصة بكل فرد على حدة" (الصفاقسي، 2015: 96) من شأن هذا المنحى في التحليل أن يؤطر بعض المفاهيم المركزية في الاتجاه المعرفي، حيث ننتقل من اللغة بمعطياتها الجزئية، إلى الآليات الذهنية المتحكمة في الأبنية اللغة، والدلالة، حيث سيتم صهر المجموع في بوتقة المعرفية. يمكن بذلك تحديد أربعة منطلقات رئيسة.

يمكن تلخيص المشروع المعرفي بذلك إلى ما يلي: (Evans, 2006: 50)

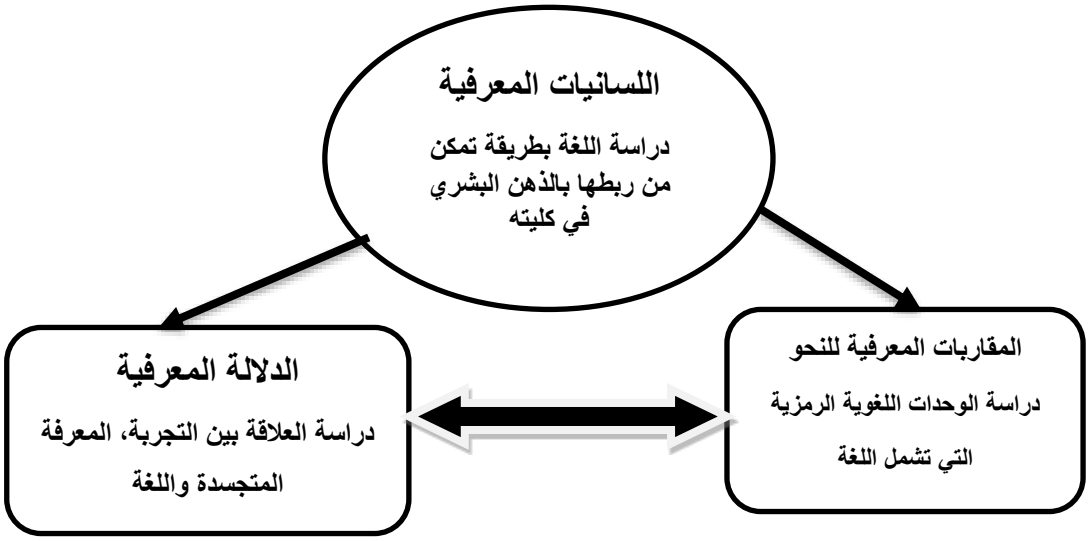

مما قوى التصور اللساني المعرفي ارتباطه بثورة معرفية في الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، وخاصة العمل المتصل بالمقولة، والتقاليد المبكرة في علم نفس الجشطالت (Evans, 2006: 3) ولعلنا سنؤكد على المنطلقات التي أطرت هذا المشروع، فالبحث يأخذ بعين الاعتبار الأبعاد الثقافية والأنتروبولوجية، والنفسية، كما أننا أمام إطار مرن فهي تمتد لتشمل مجموعة من النماذج النظرية التي تشترك في مبدأين رئيسين: اعتبار اللغة جزءا لا يتجزأ من المعرفة، في علاقة بباقي القدرات المعرفية الأخرى (الذاكرة، المقولة..)، وتفسير اللغة من منظور دلالي تداولي، حيث ينظر إليها باعتبارها قائمة على الاستعمال **usage–based**". ففي سياق الحديث عن اللسانيات المعرفية، يبدو أن الأمر لا يتعلق بنظرية لسانية خالصة بل إننا أمام "نظرية فلسفية جديدة، تجريبية، أو واقعية متجسدة بناء على اكتشافات تجريبية من قبيل: تجسد الذهن، الطبيعة اللاواعية للفكر، والطبيعة الاستعارية للتصورات المجردة" (Zlatev 2014 :1). ولكن في سياق المشروع فنحن نتحدث عن التزامات تشكل منطلقات رئيسة لا يمكن الانزياح عنها، ويبقى الأمر الأكثر أهمية هنا هو محاولة البحث في بعض مظاهر تطوير المشروع، ولكن في سياق اللغة العربية فنحن نتحدث عن استلهام لعناصره من أجل النهوض بوضع اللغة من جهة، ومحاولة ترسيخ الأسس المعرفية في ذهن المتعلم أو توجيهه إلى وجوب توظيف القيم العليا في التفكير لبلوغ درجة التعقل في النظر إلى اللغة.

ثانياً: أوليات تصورية: مدخل أولي

1- التزامات معرفية: من اللغة إلى الذهن

أ- التزام التعميم Generalization Commitement:

هو من الالتزامات المؤطرة للمشروع ، يعنى بتوصيف "المبادئ العامة المسؤولة عن جميع مظاهر اللغة البشرية" (Evans; Green, 2006: 27)، ومن خلال التزام التعميم يتضح اتجاه اللسانيات نحو تقويض فكرة تمايز الأنساق والقوالب الفرعية واعتبار عملها بشكل متمايز "أو حتى اعتبار أن هذه القوالب الفرعية أو الأنساق موجودة أصلا" (عابي2021: 33)، وقد أكد التيار الجديد مبدئيا على "رفض الفصل التعسفي بين مستوياته من صرف، وصوت، ودلالة، وتركيب" (علوي: 48)، وقد تأسس هذا التصور على منظور خاص للغة في علاقتها بالنظام الذهني المؤطر لنشوئها "على عكس مقاربات أخرى في دراسة اللغة، تنظر إلى هذه الملكة باعتبارها مجموعات متمايزة من الأنساق والقوالب، وهو ما ينطبق على اللسانيات الصورية خاصة" (Evans,.Bergen , and Jorgzinken 2007 :3.) لم يعد الذهن بذلك قابلا للتجزيء، ويمكن القول إن متعلم اللغة يجب أن يخضع هذه الأخيرة لمعالجة معرفية، لا تتصل بما عرف عن اللغة وأبنيتها باعتبارها تتكئ على عدد من المبادئ والقواعد. وينبغي أن ينعكس هذا الالتزام في مستوى الأداء اللغوي وما تقتضيه سيرورات المعالجة.

ب- الالتزام المعرفي Cognitive Commitement:

وهو من القيود الكبرى المؤطرة لعمل الإطار النظري اللساني حيث "يقدم هذا القيد وصفا للمبادئ العامة للغة والتي تتوافق مع تلك المعروفة عن الذهن والدماغ في تخصصات أخرى" (Vyvyan; Green, 2006: 27).

ويذهب القيد إلى افتراض "أن مبادئ البنية اللغوية يجب أن تعكس المبادئ التي تقوم عليها المعرفة البشرية وعلم النفس والذكاء الاصطناعي والعلوم العصبية" (عابي، 2021: 37) ومن أشكال الربط بين البنيتين ما يتجلى من خلال طريقة التقاط التجربة، وما تشكله الآليات الذهنية مثل الاستعارة من مبدئ ذو "طابع تصوري عام" (عابي، 2021: 37) وفي سياق ما ذكر عن تجاوز النظرية لبعض التصورات الكلاسيكية "فمن الافتراضات الأساسية للسانيات المعرفية الادعاء بأننا نحدد ونصورن المفاهيم في العالم على أساس أنماط مختلفة من الإدراك البشري، والتجربة الوجدانية، بالإضافة إلى الأنماط الثقافية التي تتصل بها، هذه المفاهيم مجردة بطبيعتها، ما يساعدنا على إقامة التواصل بين تجربتنا والعالم المادي من جهة، والأفكار المجردة من جهة أخرى" (Halas Ana 2011 :135)، وفي سياق تعزيز القدرة التفسيرية للنظرية وربطها بالواقعية

الذهنية يبقى من "المعقول أن نفترض أن هناك مكونا فطريا بارزا للقدرات البشرية العامة، وأن بعضا من تلك الخصائص الفطرية تؤدي إلى تعزيز القدرات البشرية التي تمتلكها أنواع أخرى على ما يبدو" (Croft, Cruse, 2004 :2)

2- سيرورات البناء والتأويل:

أ – تمثيل المعنى: تمثيل تصوري:

وبالنظر إلى المعطيات السالفة الذكر، يعد علم اللغة المعرفي "من العلوم اللغوية الحديثة نسبيا، ويرتبط ارتباطا وثيقا بالدراسات النفسية التي تهتم بعمل الدماغ ومتابعة العمليات العقلية المختلفة" (النجار2004:[4]) فالمعرفة اللغوية كما يرى هؤلاء" جزء من الإدراك العقلي الذي لا يميز بين المعلومات اللغوية والمعلومات غير اللغوية، والذي يتأثر وبقوة بمحيط الإنسان وتجاربه اليومية المختلفة" (النجار.2004:[4])، ونتجاوز بذلك الشروط الصارمة والموضوعية المتداولة في الأدبيات الفلسفية الكلاسيكية **OBJECTIVISM** لجعل المعرفة أكثر انفتاحا على لا محدودية الذهن البشري" فبخصوص البنية التصورية أو النسق التصوري القصدي تشير الدراسات إلى أن الثدييات غير البشرية والطيور تملك تمثيلات تصورية غنية" (غاليم، 2007: 67).

وبالتالي فدور اللسانيات والنظرية الدلالية في هذا السياق هو تخصيص مبادئ وعمل هذه البنية التصورية، وهي بنية مشتركة وليست خاصة باللغة، إنها محصلة تفاعل ما يميز القدرة البشرية، وهو اتجاه يؤكد مبدأ "أن اللغة تحيل على تصورات في ذهن المتكلم بدلا من الإحالة إلى الأشياء الموجودة في العالم الخارجي" (عمر بن دحمان، 2012: 80)، وقد تم تأكيد هذه المنطلقات باعتبار أن "اللغة ليست ملكة معرفية مستقلة" (croft, Cruse, 2004 :1).

ب- البنية التصورية متجسدة:

الجسدنة فكرة أساسية في اللسانيات المعرفية، حيث يذهب هذا الاتجاه إلى أهمية "التجربة البشرية، ومركزية الجسد، والبنية والتنظيم المعرفي الخاص بالإنسان، كل ما يمكن أن يؤثر على طبيعة تجربتنا، وفقا لهذا التصور التجريبي فالذهن البشري، وبالتالي اللغة، لا يمكن أن يبحث في استقلال عن التجسد البشري "human embodiment (Evans; Green. 2006:44). فالذهن والمعنى متجسدان على أساس هذه البنيات السابقة على التصور، تنطلق نحو شبكات المعنى المتعددة والمتشعبة عبر الاستعارة والكناية "وبالنسبة إلى ميرلوبونتي فإن الإدراك الذهني ومعرفة العالم والوعي واللغة مجسدنة تماما كما هي بالنسبة إلى اللسانيين الإدراكيين المحدثين خصوصا وأنه شدد على الدور الابستمولوجي الحاسم للجسد" (نيرليش، كلارك، 2017 : 285). وبذلك تعتبر"المفاهيم في عمومها عبارة عن كيانات ذهنية نموذجية مخزونة في دماغ الإنسان،

والأساس العصبي للمفهوم يتضمن تفعيل مجموعات نيورونية منفردة موزعة على مناطق مختلفة من الدماغ لكنها في الوقت نفسه تشكل طاقما واحدا ويتوصل إلى جميع هذه المناطق في وقت واحد من خلال التنشيط عن طريق كلمة أو أية علامة أخرى" (طعمة. 2018: 180)، ومن الأمثلة على هذا التفاعل، تجربة 'اللون' ذلك أن "امتلاك نظام مختلف يؤثر في تجربة الألوان لدينا" (Evans; Melanie, 2006: 45)، وتختلف الكائنات أيضا في الاستجابة للجاذبية تبعا لحجمها، وقدرتها على الحركة والتفاعل مع المحيط، وكل ذلك يؤكد مفهوم الجسدنة في تصورنا للعالم، فالتصور العصبي ليس إلا جزءا من التصور الكوني لتأليف التجربة ولا يختلف بشكل من الأشكال عن مختلف العمليات المعرفية "فالشبكة المفاهيمية الخاصة بإنتاج أنماط الدلالة غاية في التعقيد، كتعقيد ألياف الدماغ نفسه" (طعمة، 2018: 202).

ولعل مفهوم الجسدنة هنا يحتاج إلى التخلص من النزعة الآلية لفهم طبيعة التجارب المتحكمة في البناء والتأويل، وإن كان الجسد هنا بمفهومه الشامل من خلال ما يملكه من خصائص عضوية، ومدركات حسية، إلى جانب مستويات تموقعه الذهني في علاقته بالأشياء والموضوعات، وتكون بذلك "التصورات التي يمكننا بلوغها، وطبيعة الأحداث والوقائع التي نفكر فيها أو نتحدث عنها نتيجة طبيعية لجسدنتنا، فنحن نستطيع أن نتحدث فقط عما ندرك ونتصور، والأشياء التي ندركها ونتصورها مشتقة من التجربة المتجسدة" (Evans,.Bergen, and Jorgzinken 2007 :7.) وهناك الكثير من التجارب التي تحتاج إلى بروز ذهني منه الكيانات غير البشرية، وتنوعاتها المختلفة (ANA HALAS :2011 :166).

إن المشروع اللساني المعرفي يعد فلسفة في فهم الذهن، واستيعاب "تفاعل الإنسان مع العالم الخارجي والوعي به، وبناء نظرية للبنية التصورية تتوافق والطرق التي نختبر بها العالم" (Evans Vyvyan ; Grean Melanie: 157) ومن هنا فرضية المعرفة المتجسدة التي تعد اللغة وسيلة من وسائل إثباتها باعتبارها مظهرا معرفيا، ومن أمثلة هذا التصور"وجود شخص في غرفة مغلقة"، حيث إن للغرفة خصائص بنيوية مرتبطة بمعلَم محدد، ونتيجة لهذه الخصائص فالمعلم له خاصية وظيفية (الاحتواء) فالشخص غير قادر على مغادرة الغرفة، وذلك يتصل بالخصائص السالفة، كما أنه نتيجة لخصائص الجسد البشري، ومقتضياته (Evans Vyvyan; Grean Melanie :158).

ثالثاً: نظريات ومبادئ التنظيم المعرفي:

1- المقولة CATEGORIZATION:

لا يمكن للإنسان أن يعيش بمعزل عما يحيط به، انطلاقا من ذاته أولا، وخصائصه الجسدية، كما أنه يحتاج من أجل الإحاطة بالأشياء إلى نظام إداركي وآليات معرفية تسمح له الإمساك بهذا العالم، ولكن ذلك لا يخرج عن حدود الجسد ومعطياته، فالعالم يشمل "تنوعا لانهائيا تتعدد من خلاله الأشياء والأشكال، والألوان "(ungerer And schmid.. p7)، ومن ذلك يمكن القول بأنه "ليس من المستغرب أن تكون الخصائص الفيزيائية موضع فحص نفسي وتصوري لمعاني الكلمة، وهو محور اهتمام اللسانيات المعرفية. هذه العملية الذهنية للتصنيف عادة ما تسمى 'المقولة' وتنتج مقولات معرفية" (ungerer And schmid, p7).

يعتمد الذهن آليات موسعة للتصنيف والمقولة تخضع مختلف المقولات، وتيسر سبل الفهم والتقريب، وهذه الآليات تشمل مختلف العمليات المعرفية، مما يعني تنبيها على مبدأ التداخل المعرفي في سياق ما عرف بالثورة المعرفية، التي حاولت أن تعيد النظر في كثير من التمثلات والتصورات القبلية، حيث إن "المقولة نشاط ذهني يكون في معظم الأحيان عن غير وعي منا فالإنسان يكتسب المعرفة وينظمها بواسطة المقولة" (صولة. 2002.:371).

هذه الآلية إذن تصلح في توصيف متطلبات الذهن البشري، ولا يجب الإشارة إليها عرضا بل يجب تحفيزها نفسيا في عملية اكتساب المعرفة، أو اكتساب اللغة وبناء التصورات المختلفة، فهي ليست أقل شأنا من أي مضمون معرفي، بل يضاف إلى المضمون القوة المنهجية والتفسيرية، ونشير إلى أن "الضبابية، والتشابه العائلي **Family resemblence** خصائص لا تنطبق فقط على الكيانات المادية، بل تمتد أيضا إلى المقولات اللغوية مثل: المورفيمات، والكلمات، علاوة على ذلك لا تقتصر مبادئ بنينة المقولات من هذا النوع على أنواع محددة من المعرفة اللسانية ولكنها تنطبق على جميع المكونات تعبر هذه الآلية عن مسار ذهني تأويلي يراعي الاختلافات البنيوية بين الأشياء والموضوعات، وتعتبر سمة تنظيمية تقوي تنظيمنا للتجارب وللعالم، حيث إن الأمر يتعلق بمرجع يؤول إليه التعدد، ويقوم بتنظيم العلاقات المختلفة، ويسمح للذهن بتأويل جيد لمختلف المقولات، وهو ما يصطلح عليه النموذج الأولي أو الطراز.

2- الاستعارة التصورية:

في سياق دعم فكرة ومبدأ التعميم يأتي الحديث عن الاستعارة باعتبارها من أوليات التفكير اللساني المعرفي حديثا عن بنية فكرية مؤسسة على إقامة ترابطات هي من صميم تفاعلنا مع المحيط والوجود المادي "تقدم دليلا آخر لصالح التعميم عبر مجالات اللغة المميزة من هذا المنطلق

فإن الاستعارة التي تجذب انتباه **لايكوف وجونسون** توجد في التعابير التي نستعملها يوميا دون تفكير في كون الأمر يتعلق باستعارة حقيقية أو "الاستعارة الميتة وتبعا لذلك يؤكد **لايكوف وتورنر أن**" ما هو ضروري بالأساس هو ما يحدث في المستوى الذهني بشكل فوري وتلقائي.

يبدو التفكير في الاستعارة من منظور اللسانيات المعرفية محاولة علمية من أجل إعادة النظر في اللغة وتشكلاتها، وعلاقتها بالذهن، وربطها بمجمل الفكر الإنساني "وبذلك تكون نظرية الذهن سابقة ابستمولوجيا على البنية اللغوية" (عبد العالي العامري. "**اللغة ونظرية الذهن، مبادئ معرفية وذهنية**" **2018**. ص.18)، وبالتالي فهذه البنية التصورية "القائمة على الاستعارة هي التي تنتج الاستعارة اللغوية" (علوي: 129)، وهو المبدأ المؤطر لعمل الاستعارة" تبعا لهذا التصور تنظم الاستعارة التصورية عن طريق (إسقاطات) توجد في الذاكرة بعيدة المدى، بعض هذه الإسقاطات متصلة بالتجارب المتجسدة قبل التصورية، بينما تتأسس أخرى على هذه التجارب في أفق تشكيل بنيات تصورية أكثر تعقيدا ونبتعد كل البعد في هذا السياق عن التصور الكلاسيكي في النظر إلى الاستعارة بأنها "مجرد زخارف لغوية بسيطة، فهي مساعدة للفكر باعتبارها أداة معرفية" (Yvon KEROMMES 2013 :2.) حيث إننا بصدد الحديث عن ثورة معرفية تؤدي إلى غاية أكبر تتجلى في البحث عن أصل انبناء وتشكل المفاهيم العلمية خاصة، ومع ربطها بهذا المكون الاستعاري الذي لم يلق اهتماما فكريا كبيرا في التراث التقليدي أصبح بالإمكان فهم وصياغة الكثير من التصورات بأوليات فكرية راسخة في الذهن. فالمجاز مثلا لا علاقة له باللغة بشكل مباشر بل إنه يمر عبر قنوات تشكل جزءا من تجربتنا، وجزءا من الطريقة التي ينظم بها الذهن هذه التجارب، حيث "ينظر إلى المجاز المرسل بوصفه ظاهرة عرفانية وليس نوعا من المجاز مثلما هو الحال في المنظور التقليدي" (الحباشة: 2017، ص: 41) والمجاز المرسل معيار تحديده يتجلى في علاقة أفقية تقوم على مبدأ المجاورة بين نقطتي اتصال تقعان في الدائرة نفسها، أما الاستعارة فهي عبارة عن "توافقات بين مجالين مفهوميين، يعمل مجال (مصدر) على هيكلة مجال آخر والتفكير فيه، ومنه يتبلور في صورة مركبات لغوية تعكس هذا الانتقال بين المجالين" (صابر الحباشة: ص: 42) فنحن أمام عملية استنساخ تؤدي إلى تبادل الأدوار بين المجالات المعرفية المختلفة، ويمكن تمثيل ذلك بالشكل التالي:

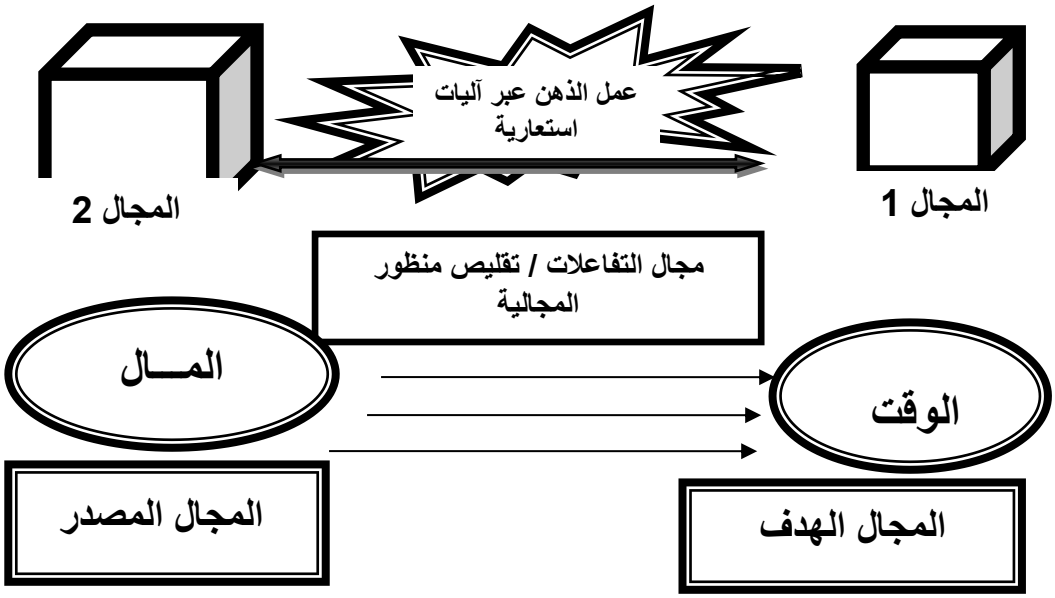

من ذلك إسقاط Projection تصور '**المصدر**' على تصور '**الهدف**' فيما يلي:

هذه العلاقة التصورية (المصدر– الهدف) تسلط الضوء على جوانب معينة لتصور المصدر، بشكل يبرز جوانب وسمات معينة، ويخفي سمات أخرى ولهذا السبب ليس غريبا أن يصبح التصور الهدف موضوعا لاستعارات متعددة بالاشتراك مع تصورات مصادر أخرى" (Yvon KEROMMES: 3).

إن الأفكار المقدمة في هذا السياق لا يمكن فصلها عن مرجعياتها الفلسفية، فنحن نبني موضوعاتنا ونتلمس حدود الزمان والمكان بفضل ما توافر لدينا من حواس ومدركات، وقدرة ذاتية على المقولة، وبذلك فإن "الفكرة المحورية التي تتأسس عليها النظرية تقوم على بناء مجال معرفي أكثر تجريدا مثل الزمن/الوقت في علاقته بمجال آخر مجرد هو الفضاء" (الحسني، 2015: 80)، ولا بد من مراعاة مبدأ التناسب بين المجالين حيث إن "الإسقاط الاستعاري تناسبات ثابتة يمكن أن تنشط، وبناء على ذلك لا تعتبر عند لايكوف البنية الاستعارية وليدة تحويل آن قولي **on–line** لمعنى حرفي إلى معنى مجازي" (جحيش، 2021: 58).

3– نظرية خطاطة الصورة Image Schema Theory:

يشكل مفهوم الخطاطة مدخلا لفهم الكيفية التي تلتقط بها التجربة، وهي مترسخة في البنية الذهنية للإنسان، وليس لها علاقة مباشرة باللغة "هذه تصورات أولية مشتقة ومتصلة بالتجربة قبل التصورية pre–conceptual، هذه المفاهيم الصورية ليست أفكارا مجردة بلا جسد، لكنها تشتق مادتها من التجارب الحسية الإدراكية" (Evans, Bergen & Jorgzinken: 9) وهناك مجموعة

من الأمثلة التي تفيد في بيان هذه الأسس التصورية وهي تفيد في إبراز الكيفية التي تمكن الأطفال من اكتساب تصوراتهم تبعا لمعطيات التجربة المتجسدة "على سبيل المثال خطاطة صورة الحاوية container هي أكثر من مجرد تمثيل هندسي فضائي، فهي ذات معنى (دالة) لأن الحاويات لها دلالة في تجربتنا اليومية".

ومن هذه الخطاطات تستمد تصوراتنا المختلفة، ونعبر عن تجاربنا المتباينة التي تظهر عبر اللغة. يبدو الاشتغال على طرق اكتساب اللغة مجالا خصبا لاختبار الأفكار النظرية موضوع البحث ومنه التصور الخطاطي، حيث إن التصورات المضمنة في حروف الجر مثلا "صورة خطاطية **image–schematic** في الأصل وبالتالي لها أساس متجسد) تختلف بذلك خطاطة الصور عن الصور الذهنية والتي تعتبر عملية واعية نسبيا تستدعي الذاكرة البصرية بينما خطاطة الصورة مجردة بطبيعتها تظهر ككل مترابط (خطاطة المسار) بالتالي فهي تقع في عمق نظامنا المعرفي تستمد وجودها من مجموع التجارب الإدراكية. وبالتالي نكون أمام "تمثيلات ذهنية مجردة مرصلة بالنظام الإدراكي العام" (Nayu Shintani, 2015: 285) او بصيغة اخرى "تعمل مخططات الصور بمثابة "مقطرات"distillers للتجارب المكانية والزمانية. وهذه التجارب المقطرة، بدورها، هي ما يعتبره علم اللغة المعرفي أساسًا لتنظيم المعرفة والتفكير حول العالم" (Oakley:1).

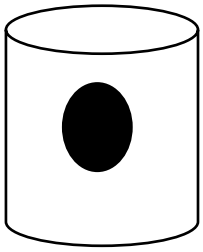

تشتمل خطاطة القوة مثلا على عدد من الخطاطات المترابطة، وتشترك خطاطة القوة في عدد من الخصائص:

- يتم دائما تجربة خطاطات القوة من خلال التفاعل **Interaction**.
- تتضمن خطاطات القوة ناقلات القوة الاتجاهية.
- تتضمن خطاطات القوة عادة مسارا واحدا للحركة.
- تتضمن القوى درجات من الشدة.
- تتضمن القوى سلسلة من: العلية، النتيجة، وجود مصدر، هدف، ناقلات قوة، مسار حركة (Evans; Melanie: 187).

يحدد **johnson** ما لا يقل عن سبع خطاطات مشتركة في هذه الخصائص ومنها:

+ خطاطة الإكراه/الإلزام:

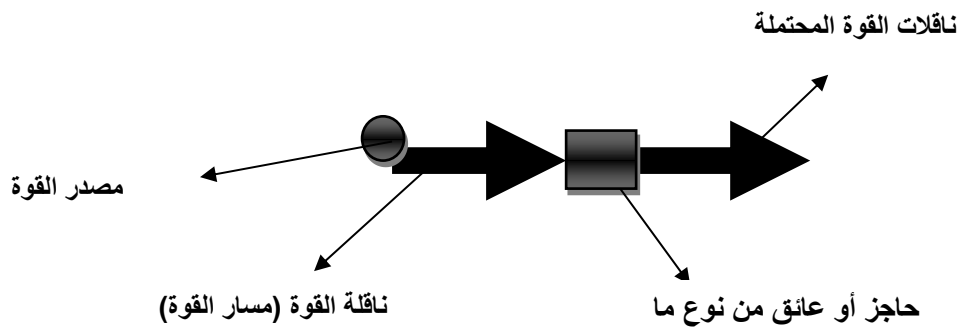

ينشأ هذا عن **تجربة** التأثر بقوة خارجية، مثل الدفع بقوة وسط حشد كبير وكثيف. ويمكن التمثيل للخطاطة أيضا بوضعيات مختلفة: عندما يشعر شخص ما بأنه مجبر على إتمام مهمة أو اتباع روتين معين، أو الانخراط في سلوك معين. ويمكن ملاحظته أيضًا في السلوكيات الإدمانية.

+ خطاطة الاعتراض:

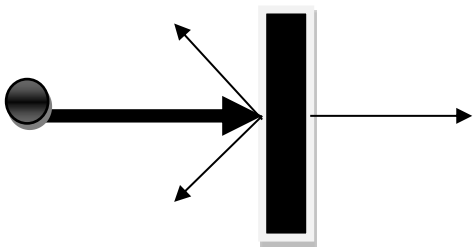

حيث تقاوم الحواجز والعقبات القوة الموجهة، مثل اصطدام سيارة بشجرة مثلا. ولا تقتصر الخطاطة على الكيانات المادية.

+ خطاطة القوة المضادة:

حيث يلتقي كيانان بقوى متكافئة. كأن نصطدم بشخص ما في الشارع. وكما هو الحال في لعبة شد الحبل أو في صراع سياسي معين.

هذه التصورات تصورات متجسدة، تستمد مادتها على نطاق واسع من التجربة الحسية الإدراكية التي تؤدي إلى ظهورها في المقام الأول والتصورات المتجسدة من هذا النوع تمتد نسقيا لتشكيل تصورات أكثر تجريدا، وهو ما يسمى بالإسقاط التصوري، ويكون من المنطقي أن الغموض الذي نتحدث عنه عند الحديث عن التصورات، لا ينشأ من هذه الأخيرة نفسها، وإنما من طبيعة المواقع التي يحتلها المتدخلون في السياق التوصلي عاما كان أو خاصا.

الخاتمة:

تحاول العلوم المعرفية بذلك صياغة أطروحة عامة حول الذهن بمفهومه الشامل، وبما ينسجم وطبيعة الأنساق والكليات المعرفية التي توطن التصورات والمفاهيم ضمن سيرورة تنبثق من مدخلات الذات في علاقتها بالبيئة، وتنتهي إلى مخرجات ترمز هذه العلاقة وتعبر عنها بشكل من الأشكال، وهنا نتحدث عن الاختلاف ضمن هذا النسق الكلي، فنتحدث بذلك عن آليات بيولوجية ومعرفية تصل بنا إلى دراسة تجريبية تتجاوز النظر الفلسفي التأملي. واللغة باعتبارها قدرة معرفية تستهدف السيرورات الذهنية وتعكسها، تستوجب مراجعة وتنقيحا للأطر المعرفية التي حولت النظر من اللغة باعتبارها بنية صورية إلى اللغة كوسيط معرفي.

وقد عدت الاستعارة في هذا السياق بنية ذهنية ليس لها صلة مباشرة باللغة كبنية مستقلة، بل تحول الأمر إلى استقصاء كوني لميكانيزمات التفكير الذي يؤدي إلى إقامة ترابطات مجالية تسهم في بنينة كثير من مفاهيمنا المجردة، وهنا نتحدث عن وسائط متجذرة في الذهن، مما يسمح بالبحث عن أوليات معرفية تؤسس علاقتنا بالوجود، وتعطي التجربة بعدا معرفيا أشمل.

ويتضح من ذلك وجود نظام أو بنية تصورية عامة تنعكس في جزء كبير منها في اللغة، وتتجاوز بذلك القصور الذي يمكن ملاحظته في التأويل الدلالي، أو تأويل العبارات اللغوية وربطها بمعطيات أوسع ترتبط بالسياق، وتفاعل الجسد مع البيئة والمحيط، ويمكن في هذا الجانب العودة إلى سياق البحث من خلال الإشارة إلى المحاور التالية:

- الحديث عن بنية الذهن بالمنظور المشار إليه سلفا يجعلنا امام قيود تأويلية تجريبية قابلة للتنزيل تعليميا.
- الإشارة إلى مفهوم الوحدة اللغوية في بعدها الرمزي يؤكد تجذر المعرفة اللغوية بكل مظاهرها في بنية تصورية أعم وأشمل.
- يحيل البعد البيداغوجي للمفاهيم السابقة على تصور يدعم بناء نظرية تربوية متعددة الأنساق، تستحضر البعد النفسي، والثقافي، أو الذهني بشكل عام.

قائمة المراجع والمصادر:

أولاً. المراجع العربية:

- إسعادي عايدة (2021): الأفضية الذهنية ورهانات تأويل الأبنية اللغوية في ضوء النظرية العرفانية عند فوكونييه، مجلة العدوي للسانيات العرفنية وتعليمية اللغات، ع1، أبريل، جامعة بوضياف، المسيلة.
- بن دحمان عمر (2012): بناء المعنى من منظور دلالي معرفي، مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري – تيزي وزو، رقم 10.
- جحيش يامنة (2021): دور الإسقاط الاستعاري في النظام اللساني العرفني، مجلة العدوي للسانيات العرفنية وتعليمية اللغات، ع1، أبريل، جامعة بوضياف، المسيلة.
- الحباشة صابر (2017): المجاز المرسل، محاولة لفهم منزلته في اللسانيات العرفانية"، مجلة اللسانيات العربية.
- دلخوش جار الله حسين (2014): علم الدلالة الإدراكي، المبادئ والتطبيقات، مجلة الآداب، ع 110.
- عابي سمير (2021): اللسانيات العرفنية المبادئ العامة والأسس، مجلة العدوي للسانيات العرفنية وتعليمية اللغات، ع1، أبريل، جامعة بوضياف المسيلة.
- النجار لطيفة إبراهيم (2004): آليات التصنيف اللغوي بين علم اللغة المعرفي والنحو العربي، مجلة جامعة الملك سعود، م17، الآداب.
- نيرليش بريجيت، كلارك ديفيد (2017): اللسانيات الإدراكية وتاريخ اللسانيات، ترجمة حافظ إسماعيل علوي، مجلة أنساق، م1، ع1.
- الصفاقسي منانة حمزة (2015): الدلالة العرفانية وتراجع دور التركيب في إنتاج الكلام وتأويله، مجلة اللسانيات العربية، ع2.
- طعمة عبد الرحمن محمد (2018): البنية العرفانية للمفاهيم الذهنية: دراسة لسانية عصبية، المخاطبات، ع25.
- العامري عبد العالي (2018): اللغة ونظرية الذهن: مبادئ معرفية وذهنية، اللسانيات العربية.
- علوي كريم عبيد (2013): كليات المعرفة اللغوية عند الفلاسفة المسلمين في ضوء اللسانيات، منشورات ضفاف، ط1.
- الحسني عبد الكبير (2015): التصور الاستعاري للزمن: من إدراك اللغة إلى إدارك الذهن، اللسانيات العربية.

- غاليم محمد (2007): النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة: مبادئ وتحاليل جديدة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.
- صولة عبد الله (2002) :المقولة في نظرية الطراز، حوليّات الجامعة التونسية، ع 46.

ثانيًا. المراجع الأجنبية:

- Dirven René (2005): Major strands in cognitive linguistics, Cognitive linguistics, Internal dynamics and interdisciplinary interaction. Mouton de gruyter.
- Evans Vyvyan, Benjamin K. Bergen, and Jorgzinken (2007): The cognitve linguistics entreprise/ An overview.
- Zlatev, Jordan, Phenomenology and cognitive linguistics (2014): Handbook phenomenology and cognitive science, Dordrecht springer.
- Croft William, Cruse Alan (2004): Cognitive linguistics, cambridge university press.
- Fransisco J. Ruiz De Mendoza; M. Sandra pena cervel (2005): Cognitive linguistics: Internal dynamics and interdisciplinary interaction. Mouton de gruyter.
- Ungerer F and Schmid H (2006): Introduction to cognitive linguistics, Pearson longman, Second edition.
- Halas Ana (2011): Metaphor and metonymy in English idioms involving lexemes eye and ear, Husse10-Linx (proceedings of the Husse10 conference), Hungarian society for the study of english debrecen.
- Croft William, Cruse Alan (2004): Cognitive linguistics; cambridge university press.
- Yvon Keromnes (2013): LES Metaphors et leur traduction dans la vie quotidienne, HAL archives-ouvertes.
- Evans Vyvyan and Melanie Green (2006): Edinburgh University Press.